(٩٩) سورة الزلزلة مدنية وآياتها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا زلزلت الأرض زلزالها (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ ههنا مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ ذكروا فى المناسبة بين أول هذه السورة وآخر السورة المتقدمة وجوهاً (أحدها) أنه تعالى لما قال (جزاؤهم عند ربهم) فكأن المكلف قال ومتى يكون ذلك يارب فقال : (إذا زلزت الأرض زلزالها) فالعالمون كلهم يكونون فى الخوف ، وأنت فى ذلك الوقت تنال جزاؤك وتكون آمناً فيه ، كما قال (وهم من فزع يومئذ آمنون) (وثانيها) أنه تعالى لما ذكر فى السورة المتقدمة وعيد الكافر ووعد المؤمن أراد أن يزيد فى وعيدالكافر ، فقال : أجازيه حين يقول الكافر السابق ذكره ، ماللأرض تزلزل ، نظيره قوله (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) ثم ذكر الطائفتين فقال (فأما الذين اسودت وجوههم) (وأما الذين ابيضت وجوههم) ثم جمع بينهما فى آخر السورة فذكر الذرة من الخير والشر .

﴿ المسألة الثانية ﴾ فى قوله (إذا) بحثان (أحدهما) أن لقائل أن يقول (إذا) للوقت فكيف وجه البداية بها فى أول السورة ؟ (وجوابه) من وجوه (الأول) كانوا يسألونه متى الساعة ؟ فقال : (إذا زلزلت الأرض) كأنه تعالى قال : لا سبيل إلى تعيينه بحسب وقته ولكنى أعينه بحسب علاماته ، (الثانى) أنه تعالى أراد أن يخبر المكلف أن الأرض تحدث وتشهد يوم القيامة مع أنها فى هذه الساعه جماد فكأنه قيل : متى يكون ذلك ؟ فقال (إذا زلزلت الأرض)

﴿ البحث الثانى ﴾ قالوا كلمة (إن) فى المجوز ، (وإذا) فى المقطوع به ، تقول : إن دخلت الدار فأنت طالق لأن الدخول يجوز ، أما إذا أردت التعليق بما يوجد قطعاً لا تقول ، إن بل تقول . إذا [نحو إذا] جاء غد فأنت طالق لأنه يوجد لا محالة . هذا هو الأصل ، فإن استعمل على خلافه فمجاز ، فلما كان الزلزال مقطوعاً به قال (إذا زلزلت) .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قال الفراء : الزلزال بالكسر المصدر والزلزال بالفتح الاسم ، وقد قرىء بهما ، وكذلك الوسواس هوالإسم أى اسم الشيطان الذى يوسوس إليك ، والوسواس بالكسر

وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾

المصدر ، والمعنى : حركت حركة شديدة ، كما قال (إذا رجت الأرض رجاً) وقال قوم : ليس المراد من زلزلت حركت ، بل المراد : تحركت واضطربت ، والدليل عليه أنه تعالى يخبر عنها فى جميع السورة كما يخبر عن المختار القادر ، ولأن هذا أدخل فى التهويل كأنه تعالى يقول إن الجماد ليضطرب لأوائل القيامة ، أما آن لك أن تضطرب وتتيقظ من غفلتك ويقرب منه (لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله) واعلم أن زل للحركة المعتادة ، وزلزل للحركة الشديدة العظيمة ، لما فيه من معنى التكرير ، وهو كالصرصر فى الريح ، ولأجل شدة هذه الحركة وصفها الله تعالى بالعظم فقال (إن زلزلة الساعة شيء عظيم) .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ قال مجاهد : المراد من الزلزلة المذكورة فى هذه الآية النفخة الأولى كقوله (يوم ترجف الراجفة ، تتبعها الرادفة) أى تزلزل فى النفخة الأولى ، ثم تزلزل ثانياً فتخرج موتاها وهى الأثقال ، وقال آخرون : هذه الزلزلة هى الثانية بدليل أنه تعالى جعل من لوازمها أنها تخرج الأرض أثقالها ، وذلك إنما يكون فى الزلزلة الثانية .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ فى قوله (زلزالها) بالإضافة وجوه (أحدها) القدر اللائق بها فى الحكمة ، كقولك : أكرم التقى إكرامه وأهن الفاسق إهانته ، تريد ما يستوجبانه من الإكرام والإهانة (والثانى) أن يكون المعنى زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه ، والمعنى أنه وجد من الزلزلة كل ما يحتمله المحل (والثالث) (زلزالها) الموعود أو المكتوب عليها إذا قدرت تقدير الحى ، تقريره ماروى أنها تزلزل من شدة صوت إسرافيل لما أنها قدرت تقدير الحى .

أما قوله ﴿ وأخرجت الأرض أثقالها ﴾ ففيه مسألتان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ فى الأثقال قولان (أحدهما) أنه جمع ثقل وهو متاع البيت (وتحمل أثقالكم) جعل مافى جوفها من الدفائن أثقالا لها ، قال أبو عبيدة والأخفش : إذا كان الميت فى بطن الأرض فهو ثقل لها ، وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها ، وقيل سمى الجن والإنس بالثقلين لأن الأرض تثقل بهم إذا كانوا فى بطنها ويثقلون عليها إذا كانوا فوقها ، ثم قال المراد من هذه الزلزلة ، الزلزلة الأولى يقول : أخرجت الأرض أثقالها ، يعنى الكنوز فيمتلىء ظهر الأرض ذهباً ولا أحد يلتفت إليه ، كأن الذهب يصيح ويقول : أما كنت تخرب دينك ودنياك لأجلى ! أو تكون الفائدة فى إخراجها كما قال تعالى (يوم يحمى عليها فى نار جهنم) ومن قال المراد من هذه الزلزلة الثانية وهى بعد القيامة . قال تخرج الأثقال يعنى الموتى أحياء كالأم تلده حياً ، وقيل تلفظه الأرض ميتاً ، كما دفن ثم يحييه الله تعالى (والقول الثانى) أثقالها : اسرارها فيومئذ تكشف الأسرار ، ولذلك قال (يومئذ تحدث أخبارها) فتشهد لك أو عليك .

وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾

﴿ المسألة الثانية ﴾ أنه تعالى قال فى صفة الأرض (ألم نجعل الأرض كفاتاً) ثم صارت بحال ترميك وهو تقرير لقوله (تذهل كل مرضعة عما أرضعت) وقوله (يوم يفر المرء) .

قوله تعالى :﴿ وقال الإنسان ما لها ﴾ ففيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ مالها تزلزل هذه الزلزلة الشديدة و لفظت ما فى بطنها ، وذلك إما عند النفخة الأولى حين تلفظ ما فيها من الكنوز والدفائن ، أو عند النفخة الثانية حين تلفظ ما فيها من الأموات

﴿ المسألة الثانية ﴾ قيل هذا قول الكافر وهو كما يقولون (من بعثنا من مرقدنا) فأما المؤمن فيقول (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) وقيل بل هو عام فى حق المؤمن والكافر أى الإنسان الذى هو كنود جزوع ظلوم الذى من شأنه الغفلة والجهالة : يقول مالها وهو ليس بسؤال بل هو للتعجب ، لما يرى من العجائب التى لم تسمع بها الآذان . ولا تطلق بها لسان ، ولهذا قال الحسن إنه للكافر والفاجر معاً .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ إنما قال (مالها) على غير المواجهة لأنه يعاتب بهذا الكلام نفسه ، كأنه يقول : يانفس ما للأرض تفعل ذلك يعنى يا نفس أنت السبب فيه فإنه لولا معاصيك لما صارت الأرض كذلك فالكفار يقولون هذا الكلام والمؤمنون يقولون (الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن

أما قوله تعالى ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾ فاعلم أن ابن مسعود قرأ (تنبىء أخبارها) وسعيد ابن جبير تنبىء (١) ثم فيه سؤالات

﴿ الأول ﴾ أين مفعولا تحدث ؟ (الجواب) قد حذف أولها والثانى أخبارها وأصله تحدث الخلق أخبارها إلا أن المقصود ذكر تحديثها الأخبار لا ذكر الخلق تعظيما .

﴿ السؤال الثانى ﴾ ما معنى تحديث الأرض ؟ قلنا فيه وجوه : (أحدها) وهو قول أبى مسلم يومئذ يتبين لكل أحد جزاء عمله فكأنها حدثت بذلك ، كقولك الدار تحدثنا بأنها كانت مسكونة فكذا انتقاض الأرض بسبب الزلزلة تحدث أن الدنيا قد انقضت وأن الآخرة قد أقبلت (والثانى) وهو قول الجمهور أن الله تعالى يجعل الأرض حيواناً عاقلا ناطقاً ويعرفها جميع ما عمل أهلها فحينئذ تشهد لمن أطاع وعلى من عصى ، قال عليه السلام «أن الأرض لتخبر يوم القيامة بكل عمل عمل عليها» ثم تلا هذه الآية وهذا على مذهبنا غير بعيد لأن البنية عندنا ليست شرطاً لقبول الحياة ، فالأرض مع بقائها على شكلها ويبسها وقشفها يخلق الله فيها الحياة والنطق ، والمقصود كأن الأرض تشكو من العصاة

---

(١) الخلاف بين القراءتين ليس فى الرسم وإنما فى القراءة فاحدى القراءتين بكسر الباء مخففة والثانية بتشديدها .

بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾

وتشكر من أطاع الله ، فتقول إن فلاناً صلى وزكى وصام وحج فى ، وإن فلاناً كفر وزنى وسرق وجار ، حتى يود الكافر أن يساق إلى النار ، وكان على عليه السلام : إذا فرغ بيت المال صلى فيه ركعتين ويقول : لتشهدن أنى ملأتك بحق وفرغتك بحق (والقول الثالث) وهو قول المعتزلة أن الكلام يجوز خلقه فى الجماد ، فلا يبعد أن يخلق الله تعالى فى الأرض حال كونها جماداً أصواتاً مقطعة مخصوصة فيكون المتكلم والشاهد على هذا التقدير هو الله تعالى .

﴿ السؤال الثالث ﴾ إذا ويومئذ ماناصبهما ؟ (الجواب) يومئذ بدل من إذا وناصبهما تحدث

﴿ السؤال الرابع ﴾ لفظ التحديث يفيد الاستئناس وهناك لا استئناس فما وجه هذا اللفظ (الجواب) أن الأرض كأنها تبث شكواها إلى أولياء الله وملائكته .

أما قوله تعالى ﴿ بأن ربك أوحى لها ﴾ ففيه سؤالان :

﴿ السؤال الأول ﴾ بم تعلقت الباء فى قوله (بأن ربك) ؟ (الجواب) بتحدث ، ومعناه تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها .

﴿ السؤال الثانى ﴾ لم لم يقل أوحى إليها ؟ (الجواب) فيه وجهان (الأول) قال أبو عبيدة (أوحى لها) أى أوحى إليها وأنشد العجاج : « أوحى لها القرار فاستقرت »

(الثانى) لعله إنما قال لها أى فعلنا ذلك لأجلها حتى تتوسل الأرض بذلك إلى التشفى من العصاة .

قوله تعالى : ﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم ﴾ الصدور ضد الورد فالوارد الجائى والصادر المنصرف وأشتاتاً متفرقين ، فيحتمل أن يردوا الأرض ، ثم يصدرون عنها الأرض إلى عرصة القيامة ، ويحتمل أن يردوا عرصة القيامة للمحاسبة ثم يصدرون عنها إلى موضع الثواب والعقاب ، فإن قوله (أشتاتاً) أقرب إلى الوجه الأول ولفظة الصدر أقرب إلى الوجه الثانى ، وقوله (ليروا أعمالهم) أقرب إلى الوجه الأول لأن رؤية أعمالهم مكتوبة فى الصحائف أقرب إلى الحقيقة من رؤية جزاء الأعمال ، وإن صح أيضاً أن يحمل على رؤية جزاء الأعمال ، وقوله (أشتاتاً)فيه وجوه (أحدها) أن بعضهم يذهب إلى الموقف راكباً مع الثياب الحسنة وبياض الوجه والمنادى ينادى بين يديه : هذا ولى الله ، وآخرون يذهب بهم سود الوجوه حفاة عراة مع السلاسل والأغلال والمنادى ينادى بين يديه هذا عدو الله (وثانيها) أشتاتاً أى كل فريق مع شكله اليهودى مع اليهودى والنصرانى مع النصرانى (وثالثها) أشتاتاً من أقطار الأرض من كل ناحية ، ثم إنه سبحانه ذكر المقصود وقال (ليروا أعمالهم) قال بعضهم : ليروا صحائف أعمالهم ، لأن الكتابة يوضع بين يدى الرجل فيقول هذا طلاقك وبينك هل تراه والمرئى وهو الكتاب وقال آخرون : ليروا جزاء أعمالهم ، وهو الجنة أو النار ، وإنما أوقع اسم العمل على الجزاء لأنه الجزاء وفاق ، فكأنه

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)

نفس العمل بل المجاز فى ذلك أدخل من الحقيقة ، وفى قراءة النبى ﷺ (ليروا) بالفتح .

قوله تعالى : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ (مثقال ذرة) أى زنة ذرة قال الكلبى الذرة أصغر النمل ، وقال ابن عباس إذا وضعت راحتك على الأرض ثم رفعتها فكل واحد مما لزق به من التراب مثقال ذرة فليس من عبد عمل خيراً أو شراً قليلا كان أو كثيراً إلا أراه الله تعالى إياه .

﴿ المسألة الثانية ﴾ فى رواية عن عاصم (يره) برفع الياء وقرأ الباقون (يره) بفتحها وقرأ بعضهم (يره) بالجزم .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ فى الآية إشكال وهو أن حسنات الكافر محبطة بكفره وسيئات المؤمن مغفورة ، إما ابتداء وإما بسبب اجتناب الكبائر ، فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر ؟ .

واعلم أن المفسرين أجابوا عنه من وجوه : (أحدها) قال احمد بن كعب القرظى (فمن يعمل مثقال ذرة) من خير وهو كافر فإنه يرى ثواب ذلك فى الدنيا حتى يلقى الآخرة ، وليس له فيها شيء ، وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً ، ويدل على صحة هذا التأويل ماروى أنه عليه السلام قال لأبى بكر « ياأبا بكر ما رأيت فى الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر الله لك مثاقيل الخير حتى توفاها يوم القيامة » (وثانيها) قال ابن عباس : ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيراً أوشراً إلا أراه الله إياه ، فأما المؤمن فيغفر الله سيئاته ويثيبه بحسناته ، وأما الكافر فترد حسناته ويعذب بسيئاته (وثالثها أن حسنات الكافر وإن كانت محبطة بكفره ولكن الموازنة معتبرة فتقدر تلك الحسنات انحبطت من عقاب كفره ، وكذا القول فى الجانب الآخر فلا يكون ذلك قادحاً فى عموم الآية (ورابعها) أن تخصص عموم قوله (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) ونقول : المراد فمن يعمل من السعداء مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل من الأشقياء مثقال ذرة شراً يره .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ لقائل أن يقول إذا كان الأمر إلى هذا الحد فأين الكرم ؟ (والجواب) هذا هو الكرم ، لأن المعصية وإن قلت ففيها استخفاف ، والكريم لايحتمله وفى الطاعة تعظيم ، وإن قل فالكريم لايضيعه ، وكأن الله سبحانه يقول لا تحسب مثقال الذرة من الخير صغيراً ، فإنك مع لؤمك وضعفك لم تضيع منى الذرة ، بل اعتبرتها ونظرت فيها ، واستدللت بها على ذاتى وصفاتى واتخذتها مركباً به وصلت إلى ، فإذا لم تضيع ذرتى أفأضيع ذرتك ! ثم التحقيق أن المقصود هو النية والقصد ، فإذا كان العمل قليلا لكن النية خالصة فقد حصل المطلوب ، وإن كان العمل كثيراً والنية دائرة فالمقصود فائت ، ومن ذلك ما روى عن كعب : لا تحقروا شيئاً من المعروف ، فإن رجلا دخل الجنة بإعارة إبرة فى سبيل الله ، وإن امرأة أعانت بحبة فى بناء بيت

المقدس فدخلت الجنة . وعن عائشة « كان بين يديها عنب فقدمته إلى نسوة بحضرتها ، فجاء سائل فأمرت له بحبة من ذلك العنب فضحك بعض من كان عندها ، فقالت إن فيما ترون مثاقيل الذرة وتلت هذه الآية » ولعلها كان غرضها التعليم ، وإلا فهى كانت فى غاية السخاوة . روى « أن ابن الزبير بعث إليها بمائة ألف وثمانين ألف درهم فى غرارتين ، فدعت بطبق وجعلت تقسمه بين الناس ، فلما أمست قالت : ياجارية فطورى هلمى فجاءت بخبز وزيت ، فقيل لها أما أمسكت لنا درهما نشترى به لحماً نفطر عليه ، فقالت لو ذكرتينى لفعلت ذلك » وقال مقاتل : نزلت هذه الآية فى رجلين كان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ، ويقول ما هذا بشىء ، وإنما نؤجر على ما نعطى ! وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير ، ويقول لاشىء على من هذا إنما الوعيد بالنار على الكبائر ، فنزلت هذه الآية ترغيباً فى القليل من الخير فإنه يوشك أن يكثر ، وتحذيراً من اليسير من الذنب فإنه يوشك أن يكبر ، ولهذا قال عليه السلام « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة » والله سبحانه وتعالى أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

سورة «الزَّلْزَلَة»

مدنيةٌ في قول ابنِ عباسٍ وقتادة[1]. ومكِّيةٌ في قول ابنِ مسعودٍ وعطاءٍ وجابر[2]. وهي تسعُ آياتٍ.

قال العلماء: وهذه السورةُ فَضْلُها كثير[3]، وتحتوي على عظيم. رَوَى الترمذيُّ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: مَن قرأ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ عُدِلَتْ له بنصفِ القرآن. ومَن قرأ ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ عُدِلَتْ له بربعِ القرآن، ومَن قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ عُدِلَتْ له بثُلُثِ القُرْآن». قال: حديثٌ غريبٌ، وفي الباب عن ابن عباس[4].

ورُوِي عن عليٍّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قرأ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ أربعَ مرَّاتٍ، كان كَمَن قرأ القرآنَ كلَّه»[5].

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص قال: لمَّا نزلت ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ بكى أبو بكر، [فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا أبا بكر؟» قال: أبكتني هذه السورة] فقال النبيُّ ﷺ: «لولا أنَّكم تُخْطِئُون وتُذْنِبون ويغفِرُ اللهُ لكم، لَخَلَق أمةً يُخْطئون ويُذْنبون فيغفرُ لهم، إنَّه هو الغفورُ الرَّحيم»[6].

---

(١) أخرجه عنهما ابن مردويه، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٧٩ ، وقول ابن عباس أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٧/ ١٤٤ ، وذكره النحاس في الناسخ والمنسوخ ٣/ ١٥٣ .

(٢) زاد المسير ٩/ ٢٠١ .

(٣) في (ظ): كبير.

(٤) سنن الترمذي (٢٨٩٣)، وحديث أنس في إسناده الحسن بن سَلم، وهو مجهول كما ذكر الحافظ في التقريب. وحديث ابن عباس أخرجه الترمذي أيضاً (٢٨٩٤) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة. اهـ. ويمان بن المغيرة ضعيف، كما ذكر الحافظ في التقريب.

(٥) أخرجه الثعلبي، كما ذكر الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف ص ١٨٧ ، قال الحافظ: لكنه من رواية أبي القاسم الطائي، وهو ساقط. اهـ. وله شاهد من حديث أنس ﷺ عند أحمد (١٢٤٨٨)، وفي إسناده سلمة بن وردان، وهو ضعيف كما ذكر الحافظ في التقريب.

(٦) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٦٨ ، والطبراني (٨٧ - قطعة من الجزء ١٣)، والواحدي في أسباب النزول =

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾

أي: حرِّكَتْ من أَصْلِها. كذا رَوى عِكْرمةُ عن ابن عباس[١]، وكان يقول: في النفخة الأولى يزلزلُها ـ وقاله مجاهدٌ ـ كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات:٦] ثم تُزلْزَلُ ثانيةً فتُخرِجُ مَوْتاها، وهي الأثقال[٢]. وذُكِر المصدرُ للتأكيد، ثم أضيف إلى الأرض، كقولك: لأُعطينَّك عَطِيَّتك، أي: عَطيَّتي لك. وحَسُنَ ذلك لموافقة رؤوس الآيِ بعدها.

وقراءةُ العامَّةِ بكسر الزاي من الزلزال، وقرأ الجحدريُّ وعيسى بنُ عمر بفَتْحِها[٣]، وهو مصدرٌ أيضاً، كالوَسواس والقَلقال والجَرْجار. وقيل: الكسرُ المصدرُ، والفتحُ الاسم[٤].

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾

قال أبو عبيدة والأخفش: إذا كان الميت في بطن الأرض، فهو ثِقلٌ لها. وإذا كان فوقها، فهو ثِقلٌ عليها[٥]. وقال ابن عباس ومجاهد: «أثقالها»: موتاها[٦]،

= ص٤٩٦ ، وما سلف بين حاصرتين من هذه المصادر. وأخرج مسلم (٢٧٤٨) وأحمد (٢٣٥١٥) من حديث أبي أيوب ﷺ: «لولا أنكم تذنبون، لخلق الله قوماً يذنبون، فيغفرُ لهم».

(١) أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨٠ .

(٢) تفسير الرازي ٣٢/ ٥٨ عن مجاهد.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٧٧ .

(٤) قاله الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٨٣ .

(٥) تفسير الرازي ٣٢/ ٥٨ ، وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٣٠٦ .

(٦) أخرج قولهما الطبري ٢٤/ ٥٥٩ .

تُخرجُهم في النفخة الثانية، ومنه قيل للجن والإنس: الثَّقَلان. وقالت الخنساء:

أَبَعْدَ ابنِ عمرٍو مِن آلِ الشَّرِيـــدِ حَلَّتْ به الأرضُ أثقالَها[١]

تقول: لمَّا دُفن عمرو صار حِليةً لأهل القبور من شرفه وسُؤْدُدِه. وذَكَر بعضُ أهلِ العلمِ قال: كانت العربُ تقول إذا كان الرجلُ سفَّاكاً للدماء: كان ثِقلاً على ظهر الأرض، فلمَّا مات حَطَّتِ الأرض عن ظهرها ثِقْلَها.

وقيل: «أَثْقَالَها»: كنوزَها، ومنه الحديثُ: «تَقيءُ الأرضُ أفلاذَ كَبِدِها أمثالَ الأُسْطوانِ من الذَّهب والفضة...»[٢].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ أي: ابنُ آدم الكافر. فروى الضحاك عن ابن عباس قال: هو الأسود بنُ عبد الأسد. وقيل: أراد كلَّ إنسانٍ يشاهدُ ذلك عند قيامِ الساعةِ في النفخة الأولى؛ مِن مؤمن وكافر. وهذا قولُ مَن جَعَلَها في الدنيا من أشراط الساعة؛ لأنَّهم لا يعلمون جميعاً [أنها] مِن أشراط الساعةِ في ابتداءِ أمرها، حتى يتحقَّقوا عُمومَها؛ فلذلك سأل بعضُهم بعضاً عنها. وعلى قولِ مَن قال: إنَّ المراد بالإنسان الكفارُ خاصةً، جعلها زلزلةَ القيامة؛ لأنَّ المؤمن معترفٌ بها، فهو لا يَسأل عنها، والكافر جاحدٌ لها، فلذلك يَسأل عنها[٣].

ومعنى ﴿مَا لَهَا﴾ أي: مالَها زُلْزِلتْ. وقيل: مالها أَخْرَجَتْ أثقالها، وهي كلمةُ تعجُّبٍ[٤]، أي: لأيِّ شيءٍ زُلزلت. ويجوزُ أن يُحييَ الله الموتى بعد وقوعِ النفخةِ

(١) ديوان الخنساء ص ١٢٠ والكامل للمبرد ٣/ ١٤١٥، والبيت من قصيدة ترثي بها أخاها معاوية بن عمرو، وقيل: ترثي بها صخراً. قال المبرد: حلَّت من الحَلْي، تقول: زينت به الأرض الموتى.

(٢) قطعة من حديث أخرجه مسلم (١٠١٣) عن أبي هريرة ﷺ. والأُسْطُوان بضم الهمزة والطاء: جمع أسطوانة، وهي السارية والعمود، وشبهه بالأسطوان لِعظمه وكثرته. شرح صحيح مسلم للنووي ٧/ ٩٨.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٣١٩، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٤) في (د) و(م): تعجيب.

الأولى، ثم تتحرَّكُ الأرض فتُخرج المَوْتَى وقد رأوا الزلزلةَ وانشقاقَ الأرضِ عن الموتى أحياء، فيقولون من الهول: مالَهَا؟!

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ «يومئذٍ» منصوبٌ بقوله «إذا زلزلت». وقيل: بقوله: «تُحَدِّثُ أَخْبارها»، أي: تُخبر الأرضُ بما عُمِل عليها من خيرٍ أو شرٍّ يومئذٍ. ثم قيل: هو من قول الله تعالى. وقيل: مِن قول الإنسان، أي: يقولُ الإنسان: مالَها تحدِّث أخبارها، متعجِّبًا.

وفي الترمذيِّ عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: «أتدرُون ما أخبارُها ـ قالوا: اللهُ ورسولُه أَعْلَم، قال: فإنَّ أخبارها أنْ تشهدَ على كلِّ عبدٍ أو أَمَةٍ بما عَمِل على ظهرها، تقول: عَمِل يومَ كذا، كذا وكذا. قال: فَهَذِه أَخْبارُها». قال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح غريب[١].

قال الماوَرْديُّ[٢]: قولُه: «يومَئذٍ تُحَدِّث أخبارَها»: فيه ثلاثةُ أقاويل:

أحدها: «تُحَدِّثُ أخبارَها» بأعمالِ العبادِ على ظهرها؛ قاله أبو هريرةَ، ورواه مرفوعاً[٣]. وهو قولُ مَن زعم أنها زَلْزلةُ القيامة.

الثاني: تُحَدِّث أخبارَها بما أَخْرَجتْ من أثقالها؛ قاله يحيى بنُ سلام. وهو قولُ مَن زَعم أنَّها زَلزلةُ أشراطِ الساعة[٤].

---

(١) سنن الترمذي (٣٣٥٣)، وقوله: غريب، ليس في (م) ومطبوع سنن الترمذي، والمثبت من النسخ الخطية وتحفة الأشراف ٩/ ٥٠١ ، وتحفة الأحوذي ٩/ ٢٨٦ . وأخرجه أيضاً أحمد (٨٨٦٧)، وسلف ص١٨٢-١٨٣ من هذا الجزء.

(٢) في النكت والعيون ٦/ ٣١٩ .

(٣) سلف قريباً.

(٤) سقط هذا القول من مطبوع النكت والعيون.

قلت: وفي هذا المعنى حديثٌ رواه ابن مسعودٍ عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «إذا كان أَجَلُ العبدِ بأرضٍ، أَوْثَبَتْه الحاجة إليها، حتى إذا بلغ أَقْصَى أثرِه قَبَضَه الله، فتقولُ الأرض يومَ القيامة: رَبِّ هذا ما استَوْدَعْتَني». أخرجه ابن ماجه في سُنَنه. وقد تقدَّم[١].

الثالث: أنَّها تُحَدِّثُ بقيام الساعةِ إذا قال الإنسان: مالَها؟ قاله ابن مسعود[٢]. فتخبرُ أنَّ أمر الدنيا قد انقضى، وأمر الآخرةِ قد أَتَى. فيكونُ ذلك منها جواباً لهم عند سؤالهم، ووعيدًا للكافر، وإنذارًا للمؤمن.

وفي حديثها بأخبارها ثلاثةُ أقاويلَ:

أحدها: أنَّ الله تعالى يَقْلِبها حيواناً ناطقًا؛ فتتكلَّمُ بذلك.

الثاني: أنَّ الله تعالى يُحْدِث فيها الكلام.

الثالث: أنه يكون منها بيانٌ يقومُ مقامَ الكلام[٣].

قال الطبريُّ[٤]: تُبين أخبارها بالرجَّةِ والزلزلةِ وإخراجِ الموتى. ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي: إنَّها تحدِّث أخبارَها بوحيِ اللهِ «لها»، أي: إليها. والعربُ تضعُ لامَ الصِّفةِ موضعَ «إلى»؛ قال العجَّاج يَصِفُ الأرض:

أَوْحَى لها القَرَارَ فاستَقَرَّتِ   وشَدَّها بالرَّاسياتِ الثُّبَّتِ[٥]

وهذا قول أبي عبيدة: «أَوْحَى لها» أي: إليها[٦].

---

(١) عند تفسير الآية (٣٤) من سورة لقمان، وهو في سنن ابن ماجه (٤٢٦٣).

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/٥٥٨ عن سعيد قال: زُلزلت الأرض على عهد عبد الله، فقال لها: مالَكِ؟ أمَا إنها لو تكلَّمت قامت الساعة. قال الطبري ص ٥٦٠ : وتحديثُها أخبارَها على القول الذي ذكرناه عن عبد الله ابن مسعود، أن تتكلَّم فتقول: إن الله أمرني بهذا، وأوحَى إليَّ به، وأذن لي فيه.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٣٢٠ .

(٤) في التفسير ٢٤/ ٥٦٠ .

(٥) ديوان العجاج ص ٢٦١ ، وسلف ٥/ ١٣٠ .

(٦) زاد المسير ٩/ ٢٠٤ ، وتفسير الرازي ٣٢/ ٦٠ ، وبنحوه في مجاز القرآن ٢/ ٣٠٦ .

وقيل: «أَوْحَى لها»، أي: أَمَرَها؛ قاله مجاهد(١). وقال السدّيُّ: «أَوْحَى لها»، أي: قال لها(٢). وقيل: سخَّرها.

وقيل: المعنى: يومَ تكونُ الزلزلةُ، وإخراجُ الأرضِ أثقالَها، تحدِّثُ الأرضُ أخبارَها؛ ما كان عليها من الطاعات والمعاصي، وما عُمِلَ على ظهرِها من خيرٍ وشرٍّ. ورُوي ذلك عن الثوريِّ وغيرِه(٣).

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ أي: فِرقًا؛ جمع شَتٍّ. قيل: عن موقف الحساب؛ فريقٌ يأخذ جهةَ اليمين إلى الجنة، وفريقٌ آخرُ يأخذ جهةَ الشمالِ إلى النار، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم: ١٤] ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣]. وقيل: يرجعون عن الحساب بعد فَراغِهم من الحساب. ﴿أَشْتَاتًا﴾ يعني فِرقًا فِرقًا. ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ يعني ثوابَ أعمالِهم. وهذا كما رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «ما مِن أحدٍ يومَ القيامةِ إلَّا وَيَلُومُ نفسَه، فإنْ كان مُحسِناً يقولُ: لم لا ازدَدْتُ إحساناً؟ وإن كان غيرَ ذلك يقولُ: لم لا نَزَعْتُ عن المعاصي؟» وهذا عند مُعاينةِ الثوابِ والعقاب(٤).

وكان ابن عباس يقول: «أشْتاتًا» متفرِّقين على قَدْرِ أعمالِهم؛ أهلُ الإيمانِ على حِدَة، وأهلُ كلِّ دينٍ على حِدَة(٥).

وقيل: هذا الصُّدور، إنَّما هو عند النشور؛ يَصْدُرون أشتاتاً من القبور، فيُصار بهم إلى موقف الحساب، ليُروا أعمالَهم في كتبهم، أو لِيُروا جزاءَ أعمالِهم؛ فكأنهم وَرَدوا القبورَ فدُفِنوا فيها، ثم صَدَروا عنها. والوارد: الجائي. والصادر: المُنْصَرِف.

---

(١) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٦٠ - ٥٦١.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٣٢٠.

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٥٦١.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٠٠ - ٥٠١.

(٥) بنحوه في الوسيط ٤/ ٥٤٢.

«أشتاتا» أي: يُبعثون من أقطار الأرض.

وعلى القول الأول[١] فيه تقديمٌ وتأخير؛ مَجازُه: تحدِّث أخبارها، بأنَّ ربَّك أَوْحَى لها، ليُرَوْا أعمالَهم. واعتَرض قولُه: «يَوْمَئِذٍ يَصْدُر الناسُ أَشْتَاتًا» متفرِّقين عن موقف الحساب[٢].

وقراءة العامة: «لِيُرَوا» بضمِّ الياءِ، أي: لِيُريهم اللهُ أعمالَهم. وقرأ الحسن والزهريُّ وقتادةُ والأعرجُ ونصر بنُ عاصم وطلحةُ بفَتْحِها، وروي ذلك عن النبيِّ ﷺ[٣].

قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾

فيه ثلاثُ مسائلَ:

الأولى: قولُه تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ كان ابن عباس يقول: مَن يعمَلْ مِن الكفار مثقالَ ذرَّةٍ خيراً يَرَهُ في الدنيا، ولا يُثابُ عليه في الآخرة، ومَن يعمل مثقالَ ذرَّةٍ من شرٍّ عُوقب عليه في الآخرة مع عقابِ الشرك، ومَن يعمل مثقالَ ذرَّةٍ من شرٍّ من المؤمنين يَرَهُ في الدنيا، ولا يعاقَب عليه في الآخرة إذا مات، ويُتجاوَزُ عنه، وإن عمل مثقالَ ذرَّةٍ من خيرٍ يُقْبلْ منه، ويضاعفْ له في الآخرة[٤]. وفي بعض الحديث: الذرَّةُ لا زِنةَ لها[٥].

وهذا مَثَلٌ ضَرَبه الله تعالى: أنَّه لا يُغْفِلُ مِن عملِ ابنِ آدمَ صغيرةً ولا كبيرة. وهو مِثْلُ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]. وقد تقدَّم الكلامُ هناك في

---

(١) يعني القول بأن ﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ معناه: عن موقف الحساب.

(٢) بنحوه في معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٣ - ٢٨٤، وزاد المسير ٩/ ٢٠٤.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٧٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١١.

(٤) ذكره بنحوه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥١١، والرازي ٣٢/ ٦١.

(٥) سلف ٦/ ٣٢١ عن يزيد بن هارون قوله.

الذرّ، وأنَّه لا وزنَ له[١].

وذَكَر بعضُ أهلِ اللغةِ أنَّ الذرَّ: أن يضرب الرجل بيده على الأرض، فما عَلِق بها من التراب فهو الذَّرُّ. وكذا قال ابن عباس: إذا وضعتَ يدك على الأرض ورَفَعْتَها، فكلُّ واحدٍ ممَّا لزق به من التراب ذَرَّة[٢].

وقال محمد بن كعب القُرَظِيُّ: فَمَن يَعْمَلْ مثقالَ ذرةٍ من خيرٍ من كافر، يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده، حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خيرٌ. ومَن يعمل مثقالَ ذرّةٍ من شرٍّ من مُؤْمنٍ، يرى عُقوبتَه في الدنيا في نفسه وماله وولده وأهله، حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شرٌّ[٣]. دليلُه ما رواه العلماءُ الأثباتُ من حديثِ أنس: أنَّ هذه الآية نزلت على النبيِّ ﷺ وأبو بكر يأكل، فأمسك وقال: يا رسول الله، وإنا لنُرَى ما عَمِلْنا من خيرٍ وشرٍّ[٤]؟ قال: «أرأيتَ ما تَكْره[٥]، فهو مثاقيلُ ذرِّ الشرِّ، ويُدَّخَر لكم مثاقيلُ ذَرِّ الخير حتى تُعْطَوْه يومَ القِيامة». قال أبو إدريس: إنَّ مِصْداقَه من[٦] كتاب الله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠][٧].

وقال مقاتل: نزلت في رجلين، وذلك أنَّه لمَّا نزل ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان: ٨] كان أحدُهم يأتيه السائل، فيَسْتَقِلُّ أن يعطِيه التمرةَ والكِسْرةَ والجوزة. وكان الآخَر يتهاوَنُ بالذَّنْبِ اليسير، كالكَذْبة والغِيبة والنظرة، ويقول: إنَّما أَوْعَدَ الله النارَ على الكبائر، فنزلت ترغِّبهم في القليل من الخير أن يُعْطُوه؛ فإنَّه يوشِكُ أن

---

(١) ٦/ ٣٢١.

(٢) تفسير الرازي ٣٢/ ٦١، وأخرجه هناد في الزهد (١٩٣).

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٦٤.

(٤) في (ظ): أو شر.

(٥) في (م): ما رأيت مما تكره.

(٦) في (م): في.

(٧) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٦٤ - ٥٦٦، والكلام من أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٥٩.

يكثر، وتحذِّرُهم اليسيرَ من الذنب، فإنَّه يوشِكُ أن يكثر؛ وقاله سعيد بن جبير. والإِثْمُ الصغير في عين صاحبه يومَ القيامة أعظمُ من الجبال، وجميعُ محَاسِنِه أقلُّ في عينه من كلِّ شيء[(١)].

الثانية: قراءةُ العامَّةِ: «يَرَه» بفتح الياء فيهما. وقرأ الجَحْدريُّ والسُّلَميُّ وعيسى بنُ عمر وأبان عن عاصم: «يُرَهْ» بضمِّ الياء[(٢)]، أي: يُريه اللهُ إياه. والأُولى الاختيارُ؛ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ الآية [آل عمران: ٣٠]. وسكَّن الهاءَ في قوله: «يَرَه» في الموضعين هشام[(٣)]. وكذلك رواه الكسائيُّ عن أبي بكر[(٤)] وأبي حَيْوة والمغيرة. واختلس يعقوبُ والزهريُّ والحجدرِيُّ وشيبة[(٥)]. وأَشْبَعَ الباقون.

وقيل: «يَرَه»، أي: يرى جزاءَه؛ لأنَّ ما عَمِلَه قد مضى وعُدِمَ فلا يُرَى. وأنشدوا:

إنَّ مَن يَعْتدي ويَكْسِبُ إثْماً وَزْنَ مِثْقالِ ذَرَّةٍ سَيَرَاهُ
ويُجَازَى بفعله الشرَّ شرًّا وبفِعْلِ الجميل أيضاً جزاه
هكذا قولُه تَبارَكَ رَبِّي في إذا زُلزلتْ وجَلَّ ثَنَاهُ

الثالثة: قال ابن مسعود: هذه أحكمُ آيةٍ في القرآن[(٦)]، وصَدَق. وقد اتَّفق العلماءُ على عموم هذه الآيةِ، القائلون بالعموم ومَن لم يقل به. وروي [عن][(٧)] كعبِ الأحبارِ أنه قال: لقد أنزل الله على محمدٍ آيتين أحْصَتَا ما في التوراة والإنجيل والزَّبور

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٥١٦ ، دون قوله: وقاله سعيد بن جبير. وأخرجه عن سعيد بن جبير ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨١ .

(٢) القراءات الشاذة ص ١٧٧ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٢ . وذكرها ابن مجاهد في السبعة ص ٦٩٤ عن أبان عن عاصم، والمشهور عن عاصم بفتح الياء.

(٣) السبعة ص ٦٩٤ ، والتيسير ص ٢٢٤ .

(٤) ذكرها عن الكسائي عن أبي بكر ابن مجاهد في السبعة ص ٦٩٤ ، والمشهور عنهما: «يرهُ» بإشباع الضم.

(٥) النشر ١/ ٣١١ عن يعقوب.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٥١٦ ، وأخرجه مطولاً عبد الرزاق ٢/ ٣٨٨ - ٣٨٩ .

(٧) زيادة يقتضيها السياق.

والصُّحُف: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾(١).

قال الشيخ أبو مَدْين في قوله تعالى: «فمن يعمل مِثقالَ ذرةٍ خيرًا يره» قال: في الحالِ قبلَ المآل(٢).

وكان النبيُّ ﷺ يسمِّي هذه الآيةَ: الآيةَ الجامعة الفاذَّة، كما في الصَّحيح لمَّا سُئل عن الحُمُر وسكَتَ عن البغال، والجوابُ فيهما واحدٌ؛ لأنَّ البغل والحمارَ لا كَرَّ فيهما ولا فَرَّ، فلمَّا ذَكَر النبيُّ ﷺ ما في الخيل من الأجر الدَّائم، والثوابِ المستمرِّ، سأل السائلُ عن الحُمُر؛ لأنَّهم لم يكن عندهم يومئذٍ بَغْلٌ، ولا دَخَل الحجازَ منها إلَّا بغلةُ النبيِّ ﷺ «الدُّلْدُل»، التي أهداها له المقوقِس، فأفتاه في الحَمِير بعمومِ الآية، وأنَّ في الحمار مثاقيلَ ذرٍّ كثيرةً؛ قاله ابنُ العربيِّ(٣).

وفي «الموطأ»: أنَّ مِسْكيناً استَطْعَم عائشةَ أمَّ المؤمنين وبين يديها عِنَب، فقالت لإنسان: خُذْ حبةً فأَعْطِه إياها. فجعل ينظرُ إليها ويَعْجَبُ، فقالت: أَتَعْجَبُ! كم ترى في هذه الحَبةِ من مثقال ذرّة(٤).

وروي عن سعد بن أبي وَقَّاص: أنَّه تَصَدَّق بتمرتين، فقبض السائلُ يدَه، فقال للسائل: ويَقْبلُ الله منَّا مثاقيلَ الذرّ، وفي التمرتين مثاقيلُ ذرٍّ كثيرة(٥).

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٦/٣، والكلام من أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٩٥٩ - ١٩٦٠.

(٢) من قوله: قال الشيخ أبو مدين، إلى هذا الموضع من (م) وليس في النسخ الخطية. وأبو مدين لعله شعيب بن حسين الأندلسي الزاهد، شيخ أهل المغرب، توفي في نحو سنة (٥٩٠هـ). وهناك شيخ آخر يكنى أبا مدين، وهو شعيب بن يحيى بن أحمد القيرواني ثم الإسكندراني التاجر، توفي سنة (٦٤٥هـ). السير ٢١/٢١٩ و٢٣/٢٦٨.

(٣) في أحكام القرآن ٤/١٩٦٠، والحديث الذي ذكره أخرجه أحمد (٧٥٦٣)، والبخاري (٢٣٧١) ومسلم (٩٨٧) عن أبي هريرة ﷺ، وسلفت قطعة منه ٥/٥٢.

(٤) الموطأ ٢/٩٩٧ وفيه: قال مالك: بلغني أن مسكيناً استطعم عائشة...، وقد أخرجه بنحوه متصلاً أبو عبيد في الأموال (٩١١).

(٥) أخرجه بنحوه أبو عبيد في الأموال (٩١٠)، وذكره ابن عبد البر في الاستذكار ٢٧/٤٠٨.

وروى المُطَّلبُ بن حَنْطَب: أنَّ أعرابيّاً سمع النبيَّ ﷺ يَقرؤُها، فقال: يا رسولَ الله، أمِثْقالُ ذرّةٍ! قال: «نعم» فقال الأعرابيُّ: واسَوْأتاه! مِراراً، ثم قام وهو يقولُها، فقال النبيُّ ﷺ: «لقد دَخَلَ قلبَ الأعْرابيِّ الإيمانُ»[(١)].

وقال الحسن: قَدِم صعصعةُ عمُّ الفَرَزْدقِ على النبيِّ ﷺ، فلمَّا سمع ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ الآيات، قال: لا أُبالي ألَّا أسمعَ من القرآن غيرَها، حَسْبي، فقد انتهت الموعظة[(٢)]؛ ذكره الثعلبيُّ. ولَفْظُ الماورديِّ[(٣)]: ورُوي أنَّ صعصعةَ بنَ ناجية جدَّ الفرزدقِ أتى النبيَّ ﷺ يستقرئُه، فقرأ عليه هذه الآيةَ، فقال صعصعةُ: حسبي حسبي؛ إن عَمِلتُ مِثقالَ ذَرَّةٍ [خيراً رأيتُه، وإن عملتُ مثقال ذرةٍ] شَرًّا رأيتُه.

ورَوَى مَعمر عن زيد بن أسلم: أنَّ رجلاً جاء إلى النبيِّ ﷺ فقال: عَلِّمني ممَّا علَّمك الله. فدَفَعه إلى رجلٍ يعلِّمه، فعلَّمه: «إذا زُلزلت ـ حتى إذا بلغ ـ فَمَن يَعْمَلْ مِثقالَ ذرةٍ خَيراً يَرَه. ومَن يعمل مِثقالَ ذرةٍ شرًّا يَرَه» قال: حسبي. فأُخبر النبيُّ ﷺ فقال: «دَعُوهُ فإنَّه قد فَقُه»[(٤)].

ويُحكى أنَّ أعرابيًّا أخَّر «خَيْرًا يَرَهُ» فقيل: قدَّمْتَ وأخَّرْتَ. فقال:

خذا بطنَ هَرْشَى أو قَفاها فإنهُ ... كِلا جانبيْ هَرْشَى لهنَّ طريقُ[(٥)]

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨١.

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٥٩٣)، والنسائي في الكبرى (١١٦٣٠)، وابن الأثير في أسد الغابة ٣/ ٢١-٢٢. وقد أخرجه الطبراني في الكبير (٧٤١١)، والحاكم ٣/ ٦١٣، والمزي في ترجمة صعصعة بن معاوية من تهذيب الكمال ١٣/ ١٧٣ - ١٧٤، ووقع عندهم: عن الحسن عن صعصعة بن معاوية عم الأحنف ابن قيس، وهو ما صوَّبه ابن الأثير والمزي والحافظ في الإصابة ٥/ ١٤١ - ١٤٢، وذكروا أنه ليس للفرزدق عم اسمه صعصعة، لكن جده اسمه صعصعة بن ناجية، وذكروا له صحبة. وينظر حاشية الحديث في مسند أحمد.

(٣) في النكت والعيون ٦/ ٣٢١ - ٣٢٢، وما سيأتي بين حاصرتين منه.

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٨٨، وابن بشكوال في غوامض الأسماء المبهمة ١/ ٤٧٢.

(٥) القراءات الشاذة ص ١٧٧، والكشاف ٤/ ٢٧٦، والكلام منه. والخبر أخرجه مطولاً صاحب الأغاني ١٢/ ٢٦١، والبيت لعقيل بن عُلَّفة من شعراء الدولة الأموية، كما في الأغاني، وطبقات فحول =

تفسير سورة إذا زلزلت

وهى مكية.

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا سعيد ، حدثنا عياش بن عباس ، عن عيسى ابن هلال الصَّدفى ،عن عبد الله بن عمرو قال: أتى رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أقرئنى يا رسول الله . قال (١) له : « اقرأ ثلاثا من ذات الر » . فقال له الرجل : كبر سنى واستد (٢) قلبى ، وغَلُظ لسانى . قال : « فاقرأ من ذات (٣) حم » ،فقال مثل مقالته الأولى . فقال : « اقرأ ثلاثا من المسبحات » ، فقال مثل مقالته . فقال الرجل : ولكن أقرئنى ـ يا رسول الله ـ سورة جامعة . فأقرأه : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ حتى إذا فرغ منها قال الرجلُ : والذى بعثك بالحق ، لا أزيد عليها أبداً . ثم أدبر الرجل ،فقال رسول الله ﷺ : « أفلح الرويجل ! أفلح الرويجل ! » ثم قال : «عَلَىّ به » . فجاءه فقال له : « أمرْتُ بيوم الأضحى جعله الله عيدا لهذه الأمة » . فقال له الرجل : أرأيت إن لم أجد إلا مَنيحَة أنثى فأضحى بها ؟ قال : « لا ، ولكنك تأخذ من شعرك ، وتقلم أظفارك ، وتقص شاربك ، وتحلق عانتك ، فذاك تمام أضحيتك عند الله ، عز وجل » .

وأخرجه أبو داود والنسائى ، من حديث أبى عبد الرحمن المقرئى (٤) ، به (٥) .

وقال الترمذى : حدثنا محمد بن موسى الحَرَشى البصرى : حدثنا الحسن بن سلْم(٦) بن صالح العجلى ،حدثنا ثابت البُنانى ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ: « من قرأ ﴿ إِذَا زُلْزِلَتْ ﴾ ،عدلَت له بنصف القرآن» . ثم قال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسن بن سَلْم(٧) (٨) .

وقد رواه البزار عن محمد بن موسى الحرشى ، عن الحسن بن سلم (٩)، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ تَعدلُ ثلث القرآن ، و ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ تَعدلُ ربع القرآن » . هذا لفظه .

وقال الترمذى أيضا : حدثنا على بن حُجْر ، حدثنا يزيد بن هارون ،حدثنا يمان بن المغيرة العنزى، حدثنا عطاء ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ تَعْدلُ نصف القرآن، و﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ تعدل ثلث القرآن ، و﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون ﴾ تعدل ربع القرآن » . ثم قال : غريب ، لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة (١٠) .

---

(١) فى م : « فقال » . (٢) فى م : « واشتد » . (٣) فى أ : « من ذوات » .
(٤) فى أ : « المقبرى » .
(٥) المسند (٢/ ١٦٩) وسنن أبى داود برقم (١٣٩٩) وسنن النسائى (٧/ ٢١٢) .
(٦) فى أ : « مسلم » . (٧) فى م ، أ : « مسلم » .
(٨) سنن الترمذى برقم (٢٨٩٣) .
(٩) فى م ، أ : « مسلم » .
(١٠) سنن الترمذى برقم (٢٨٩٤) .

وقال أيضاً : حدثنا عقبة بن مُكَرَّم العَمّى البصرى ، حدثنى ابن أبى فُدَيْك ، أخبرنى سلمة بن وردان ، عن أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه : « هل تزوجت يا فلان؟» قال : لا ، والله يا رسول الله ، ولا عندى ما أتزوج ؟! قال: « أليس معك ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد** ﴾؟ ». قال: بلى . قال: « ثلث القرآن » . قال : « أليس معك ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ** ﴾ ؟ ». قال : بلى . قال : « ربع القرآن » . قال : « أليس معك ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون** ﴾ ؟». قال : بلى . قال : « ربع القرآن ». قال : « أليس معك ﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ** ﴾ ؟ ». قال : بلى . قال : « ربع القرآن » تزوج ، [تزوج] (١) » . ثم قال : هذا حديث حسن (٢) .

تفرد بهن ثلاثتهن الترمذى ، لم يروهن غيره من أصحاب الكتب .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾ .

قال ابن عباس : ﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا** ﴾ أى : تحركت من أسفلها . ﴿ **وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا** ﴾ يعنى : ألقت ما فيها من الموتى .قاله غير واحد من السلف . وهذه كقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ** ﴾ [الحج :١] ، وكقوله : ﴿ **وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ . وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ** ﴾ [الانشقاق :٣، ٤] .

وقال مسلم فى صحيحه : حدثنا واصل بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن فُضَيل ، عن أبيه ، عن أبى حازم ،عن أبى هُرَيرة قال:قال رسول الله ﷺ : « تَقِيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة ، فيجيء القاتل فيقول : فى هذا قَتَلْتُ ، ويجيء القاطع فيقول : فى هذا قَطَعتُ رحمى ، ويجيء السارق فيقول : فى هذا قُطِعت يدى ، ثم يَدَعُونه فلا يأخذون منه شيئاً » (٣) .

وقوله : ﴿ **وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا** ﴾ أى : استنكر أمرها بعد ما كانت قارة ساكنة ثابتة ، وهو مستقر على ظهرها ، أى : تقلبت الحال ، فصارت متحركة مضطربة ، قد جاءها من أمر الله ما قد أعد لها من الزلزال الذى لا محيد لها عنه، ثم ألقت ما فى بطنها من الأموات من الأولين والآخرين، وحينئذ استنكر الناس أمرها وتبدلت الأرض غير الأرض والسموات ، وبرزوا لله الواحد القهار .

وقوله : ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا** ﴾ أى : تحدث بما عمل العاملون على ظهرها .

---

(١) زيادة من سنن الترمذى .

(٢) سنن الترمذى برقم (٢٨٩٥) .

(٣) صحيح مسلم برقم (١٠١٣) .

قال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم ، حدثنا ابن المبارك ــ وقال الترمذى وأبو عبد الرحمن النسائى، واللفظ له : حدثنا سُوَيد بن نصر ، أخبرنا عبد الله ــ هو ابن المبارك ــ عن سعيد بن أبى أيوب ، عن يحيى بن أبى سليمان ، عن سعيد المقْبُرى ، عن أبى هريرة قال : قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ قال : « أتدرون ما أخبارها ؟ » . قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : « فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عَمِل على ظهرها ، أن تقول : عمل كذا وكذا ، يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها » (١) .

ثم قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح غريب .

وفى معجم الطبرانى من حديث ابن لَهِيعة : حدثنى الحارث بن يزيد ــ سمع ربيعة الجُرَشى ــ : أن رسول الله ﷺ قال : « تحفظوا من الأرض ، فإنها أمكم ، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً ، إلا وهى مُخبرة » (٢) .

وقوله : ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ : قال البخارى : أوحى لها وأوحى إليها ، ووحى لها ووحى إليها : واحد (٣). وكذا قال ابن عباس : ﴿ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ أى : أوحى إليها .

والظاهر أن هذا مُضَمَّن [بمعنى] (٤) أذن لها .

وقال شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ قال : قال لها ربها : قولى ، فقالت .

وقال مجاهد : ﴿ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ أى : أمرها . وقال القُرَظى : أمرها أن تنشق عنهم .

وقوله : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ﴾ أى : يرجعون عن مواقف الحساب ، ﴿ أَشْتَاتًا ﴾ أى : أنواعاً وأصنافاً ، ما بين شقى وسعيد ، مأمور به إلى الجنة ، ومأمور به إلى النار .

قال ابن جريج : يتصدعون أشتاتاً فلا يجتمعون آخر ما عليهم .

وقال السُّدِّى : ﴿ أَشْتَاتًا ﴾ : فرقا .

وقوله تعالى : ﴿ لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾ أى : ليعملوا ويجازوا بما عملوه فى الدنيا ، من خير وشر . ولهذا قال : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

قال البخارى : حدثنا إسماعيل بن عبد الله ، حدثنى مالك عن يزيد بن أسلم ، عن أبى صالح السَّمان عن أبى هُرَيرة : أن رسول الله ﷺ قال : « الخيل لثلاثة : لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى رجل وزر ؛فأما الذى له أجر ، فرجل ربطها فى سبيل الله فأطال طِيَلها فى مرج أو روضة ، فما أصابت فى طيلها ذلك فى المرج والروضة كان له حسنات ، ولو أنها قطعت طيلها فاستنّت شَرَفا أو

(١) المسند (٢/ ٣٧٤) وسنن الترمذى برقم (٣٣٥٣) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٩٣) .

(٢) المعجم الكبير (٥/ ٦٥) وقال الهيثمى فى المجمع (١/ ٢٤١) : « وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف » .

(٣) صحيح البخارى (٨/ ٧٢٦) « فتح » .

(٤) زيادة من م ، أ .

شرفين ، كانت آثارها وأرواثها حسنات له ، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يَسقَى به كان ذلك حسنات له ، وهى لذلك الرجل أجر . ورجل ربطها تَغَنيا وتعففا ، ولم ينس حق الله فى رقابها ولا ظهورها ،فهى له ستر . ورجل ربطها فخراً ورئاء ونواء ، فهى على ذلك وزر » .فسُئل رسول الله ﷺ عن الحُمُر ، فقال : « ما أنزل الله فيها شيئاً إلا هذه الآية الفاذة الجامعة : ﴿ **فَمَن** (١) **يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه** ﴾ .

ورواه مسلم ، من حديث زيد بن أسلم ، به (٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا جرير بن حازم ، حدثنا الحسن ، عن صعصعة بن معاوية ــ عم الفرزدق ــ : أنه أتى النبى ﷺ فقرأ عليه : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه** ﴾ ، قال : حسبى ! لا أبالى ألا أسمع غيرها (٣).

وهكذا رواه النسائى فى التفسير ،عن إبراهيم بن يونس بن محمد المؤدب ، عن أبيه ، عن جرير ابن حازم ، عن الحسن البصرى قال : حدثنا صعصعةُ عم الفرزدق ، فذكره (٤) .

وفى صحيح البخارى ، عن عَدى مرفوعا : « اتقوا النار ولو بِشِقٍّ تمرة ،ولو بكلمة طيبة»(٥) . وفى الصحيح :« لا تَحْقِرَنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء المستسقى ، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط » (٦) . وفى الصحيح أيضاً : « يا نساء (٧) المؤمنات ، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فِرْسَنَ شاة » (٨) يعنى : ظلفها . وفى الحديث الآخر : « ردوا السائل ولو بظلْف مُحَرق»(٩).

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى ، حدثنا كثير بن زيد ، عن المطلب بن عبد الله ، عن عائشة ، أن رسول الله ﷺ قال : « يا عائشة ، استترى من النار ولو بشق تمرة ،فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان » . تفرد به أحمد (١٠) .

ورُوِىَ عن عائشة أنها تصدقت بعنبة ، وقالت : كم فيها من مثقال ذرة (١١) .

وقال أحمد : حدثنا أبو عامر ، حدثنا سعيد بن مسلم ، سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير :

---

(١) فى م ، أ : « من » وهو خطأ .

(٢) صحيح البخارى برقم (٤٩٦٢) وصحيح مسلم برقم (٩٨٧) .

(٣) المسند (٥/ ٥٩) .

(٤) سنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٩٤) .

(٥) صحيح البخارى برقم (٧٥١٢) .

(٦) صحيح مسلم برقم (٢٦٢٦) من حديث أبى ذر الغفارى ، رضى الله عنه .

(٧) فى م : « يا معشر نساء » ، وفى أ : « معشر النساء » .

(٨) صحيح البخارى برقم (٢٥٦٦) من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

(٩) رواه أحمد فى المسند (٥/ ٣٨١) وأبو داود فى السنن برقم (١٦٦٧) والترمذى فى السنن برقم (٦٦٥) من حديث أم بجيد الأنصارية ، رضى الله عنها . وقال الترمذى : « حديث أم بجيد حديث حسن صحيح ».

(١٠) المسند (٦/ ٧٩) .

(١١) هو فى الموطأ (٢/ ٩٩٧) بلاغاً عن عائشة .

حدثنى عوف بن الحارث بن الطفيل : أن عائشة أخبرته : أن النبى ﷺ كان يقول : « يا عائشة ، إياك ومحقرات الذنوب ، فإن لها من الله طالباً » .

ورواه النسائى وابن ماجة ، من حديث سعيد بن مسلم بن بَانَك ، به(١) .

وقال ابن جرير : حدثنى أبو الخطاب الحسانى ، حدثنا الهيثم بن الربيع ، حدثنا سماك بن عطية، عن أيوب ، عن أبى قلابة ، عن أنس قال: كان أبو بكر يأكل مع النبى ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿ فمَن (٢) يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه ﴾ ، فرفع أبو بكر يده وقال : يا رسول الله ، إنى أُجزى بما عملتُ من مثقال ذرة من شر ؟ فقال : « يا أبا بكر ، ما رأيت فى الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر الله لك مثاقيل ذَر الخير حتى تُوفَاه يوم القيامة » (٣) .

ورواه ابن أبى حاتم ، عن أبيه [عن] (٤) أبى الخطاب ، به . ثم قال ابن جرير :

حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الوهاب ،حدثنا أيوب قال : فى كتاب أبى قِلابة ، عن أبى إدريس: أن أبا بكر كان يأكل مع النبى ﷺ ،فذكره (٥) .

ورواه أيضاً عن يعقوب ، عن ابن عُلَيَّة ، عن أيوب ،عن أبى قلابة : أن أبا بكر ، وذكره .

طريق أخرى: قال ابن جرير : حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنى حُيَى ابن عبد الله ، عن أبى عبد الرحمن الحبلى ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : لما نزلت : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ وأبو بكر الصديق ، رضى الله عنه ، قاعد ، فبكى حين أنزلت ، فقال له رسول الله ﷺ:« ما يبكيك يا أبا بكر ؟ » . قال : يبكينى هذه السورة . فقال له رسول الله ﷺ: « لولا أنكم تخطئون وتذنبون ، فيغفر الله لكم ، لخلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم»(٦).

حديث آخر : قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زرعة وعلى بن عبد الرحمن بن [محمد بن] (٧) المغيرة ـ المعروف بعلان المصرى ـ قالا : حدثنا عمرو بن خالد الحرَّانى ، حدثنا ابن لَهيعة ، أخبرنى هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى سعيد الخدرى قال : لما نزلت : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ قلت : يا رسول الله ، إنى لراء عملى؟ قال : « نعم » . قلت : تلك الكبار الكبار ؟ قال : « نعم» . قلت : الصغار الصغار ؟ قال: « نعم » . قلت : وا ثُكلَ أُمى . قال : « أبشر يا سعيد ؛ فإن الحسنة بعشر أمثالها ـ يعنى إلى

(١) المسند (٦/ ١٥١) وسنن ابن ماجة برقم (٤٢٤٣) .
(٢) فى أ : « من » وهو خطأ .
(٣) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٧٣) ورواه الطبرانى فى المعجم الأوسط برقم (٣٤١٨) « مجمع البحرين » من طريق أبى الخطاب ، به ، وقال : «لم يروه عن أيوب إلا سِمَاك ، ولا عنه إلا الهيثم . تفرد به زيادة » . قلت : الهيثم بن الربيع ضعيف .
(٤) زيادة من م ، أ .
(٥) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٧٤) ورواه البيهقى فى شعب الإيمان برقم (٧١٠٣) والطبرانى فى المعجم الكبير برقم (٨٧) « القطعة المفقودة » من طريق ابن وهب ، به .
(٦) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٧٥) .
(٧) زيادة من الجرح والتعديل لابن أبى حاتم (٣/ ١/ ١٩٥) .

سبعمائة ضعف ـ ويضاعف الله لمن يشاء ، والسيئة بمثلها أو يغفر الله ، ولن ينجو أحد منكم بعمله». قلت : ولا أنت يا رسول الله (١) ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله منه برحمة » (٢).
قال أبو زُرْعَة : لم يرو هذا غير ابن لَهِيعة .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بُكَيْر ، حدثنى ابن لهيعة ، حدثنى (٣) عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جبير فى قوله تعالى : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾ ، وذلك لما نزلت هذه الآية : ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** ﴾ [الإنسان:٨] ، كان المسلمون يرون أنهم لا يُؤجَرون على الشىء القليل الذى أعطوه ، فيجىء المسكين إلى أبوابهم فيستقلون أن يعطوه التمرة والكسرة والجَوْزة ونحو ذلك ، فيردونه ويقولون : ما هذا بشىء . إنما نُؤجَر على ما نعطى ونحن نحبه . وكان آخرون يَرَون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير : الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك ، يقولون : إنما وعد الله النار على الكبائر . فرغبهم فى القليل من الخير أن يعملوه ، فإنه يوشك أن يكثر ،وحذرهم اليسير من الشر ، فإنه يوشك أن يكثر ، فنزلت : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ** ﴾ يعنى : وزن أصغر النمل ﴿ **خَيْرًا يَرَهُ** ﴾ يعنى : فى كتابه ،ويَسُرُّه ذلك . قال : يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة .وبكل حسنة عشر حسنات ، فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضاً ، بكل واحدة عشر ، ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات ، فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة ، دخل الجنة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا عمران ، عن قتادة ، عن عبد ربه ، عن أبى عياض ، عن عبد الله بن مسعود ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه » . وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلا ، كمثل قوم نزلوا أرض فلاة ، فحضر صَنِيع القوم ، فجعل الرجل ينطلق فيجىء بالعود ، والرجل يجىء بالعود ، حتى جمعوا سوادا ، وأجّجوا ناراً ، وأنضجوا ما قذفوا فيها (٤) .

[آخر تفسير سورة « إذا زلزلت »] (٥) [ولله الحمد والمنة] (٦)

(١) فى أ : « يا نبى الله » .
(٢) ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٨/ ٥٩٤) وعزاه لابن أبى حاتم ،ولآخره شاهد فى الصحيح من حديث أبى هريرة ،رضى الله عنه .
(٣) فى م : « عن » .
(٤) المسند (١/ ٤٠٢) .
(٥) زيادة من م ، أ .
(٦) زيادة من أ .

٩٩ – سورة الزلزلة
(مدنية وهى ثمان آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ ٩٩ الزلزلة

وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ ٩٩ الزلزلة

وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ ٩٩ الزلزلة

يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ ٩٩ الزلزلة

﴿ سورة الزلزلة مدنية مختلف فيها وآيها ثمان ﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إذا زلزلت الأرض) أى حركت تحريكا عنيفاً متكرراً متداركا
أى الزلزال المخصوص بها على مقتضى المشيئة المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذى
لاغاية وراءه أو زلزالها العجيب الذى لايقادر قدره أو زلزالها الداخل فى حيز الإمكان وقرىء
بفتح الزاء وهو اسم وليس فى الأبنية فعلال بالفتح إلا فى المضاعف وقولهم ناقة خزعال نادر وقد
قيل الزلزال بالفتح أيضاً مصدر كالوسواس والجرجار والقلقال وذلك عند النفخة الثانية لقوله عز
٢ وجل (وأخرجت الأرض أثقالها) أى مافى جوفها من الأموات والدفائن جمع ثقل وهومتاع البيت
وإظهار الأرض فى موقع الإضمار لزيادة التقرير أو للإيماء إلى تبدل الأرض غير الأرض أو لأن
٣ إخراج الأثقال حال بعض أجزائها (وقال الإنسان) أى كل فرد من أفراده لما يدهمهم من الطامة
* التامة ويبهرهم من الداهية العامة (مالها) زلزلت هذه المرتبة الشديدة من الزلزال وأخرجت مافيها
من الأثقال استعظاماً لما شاهدوه من الأمر الهائل وقد سيرت الجبال فى الجو وصيرت هباء وقيل
هو قول الكافر إذا لم يكن مؤمناً بالبعث والأظهر هو الأول على أن المؤمن يقوله بطريق الاستعظام
٤ والكافر بطريق التعجب (يومئذ) بدل من إذا وقوله تعالى (تحدث أخبارها) عامل فيهما ويجوز أن
يكون إذا منتصبا بمضمر أى يوم إذ زلزلت الأرض تحدث الخلق أخبارها إما بلسان الحال حيث
تدل دلالة ظاهرة على مالأجله زلزالها وإخراج أثقالها وإما بلسان المقال حيث ينطقها الله تعالى فتخبر
بما عمل عليها من خير وشر وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها تشهد على كل أحد بما عمل على

بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ ٩٩ الزلزلة

يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ ٩٩ الزلزلة

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ ٩٩ الزلزلة

وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ٩٩ الزلزلة

ظهرها وقرىء تنبىء أخبارها وقرىء من الأنباء (بأن ربك أوحى لها) أى تحدث أخبارها بسبب ٥
إيحاء ربك لها وأمره إياها بالتحديث على أحد الوجهين ويجوز أن يكون بدلا من أخبارها كأنه قيل
تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لأن التحديث يستعمل بالباء وبدونها وأوحى لها بمعنى أوحى إليها
(يومئذ) أى يوم إذ يقع ماذكر (يصدر الناس) من قبورهم إلى موقف الحساب (أشتاتاً) متفرقين ٦
بحسب طبقاتهم بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين كما مر فى قوله تعالى فتأتون أفواجا وقيل
يصدرون عن الموقف أشتاتاً ذات اليمين إلى الجنة وذات الشمال إلى النار (ليروا أعمالهم) أى أجزية *
أعمالهم خيراً كان أو شراً وقرىء ليروا بالفتح وقوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) (ومن ٧، ٨
يعمل مثقال ذرة شراً يره) تفصيل ليروا وقرىء يره والذرة النملة الصغيرة وقيل مايرى فى شعاع
الشمس من الهباء وأياً ما كان فمعنى رؤية مايعادلها من خير وشر إمامشاهدة جزائه فمن الأولى مختصة
بالسعداء والثانية بالأشقياء كيف لا وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن المجتنب عن
الكبائر معفوة وما قيل من أن حسنة الكافر تؤثر فى نقص العقاب يرده قوله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثوراً وأما مشاهدة نفسه من غير أن يعتبر معه الجزاء ولا عدمه بل يفوض
كل منهما إلى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتنب عن الكبائر وإثابته بجميع حسناته
وبحبوط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه فالمعنى ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ليس
من مؤمن ولا كافر عمل خيراً أو شراً إلا أراه الله تعالى إياه أما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته
وأما الكافر فيرد حسناته تحسراً ويعاقبه بسيئاته . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزلزلة
أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله والله أعلم .



ويقال سورة إذا زلزلت وهي مكية في قول ابن عباس ومجاهد وعطاء، ومدنية في قول قتادة ومقاتل. واستدل له في الإتقان بما أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، قال: لما نزلت ﴿فمن يعمل مثقال ذرة﴾ [الزلزلة: ٧] الخ قلت: يا رسول الله إني لراءٍ عملي؟ قال: «نعم» قلت: تلك الكبار الكبار؟ قال: «نعم» قلت: الصغار الصغار؟ قال: «نعم». قلت: وا تكل أمي؟ قال: «أبشر يا أبا سعيد فإن الحسنة بعشر أمثالها» الحديث. وأبو سعيد لم يكن إلاّ بالمدينة ولم يبلغ إلا بعد أحد. وآيها ثمانٍ في الكوفي والمدني الأول وتسع في الباقية وصح في حديث الترمذي والبيهقي وغيرهما عن ابن عباس مرفوعاً: «إذا زلزلت تعدل نصف القرآن». وجاء في حديث آخر تسميتها ربعاً ووجه ما في الأول بأن أحكام القرآن تنقسم إلى أحكام الدنيا وأحكام الآخرة وهذه السورة تشتمل على أحكام الآخرة إجمالاً وزادت على القارعة بإخراج الأثقال وبحديث الأخبار وما في الآخر بأن الإيمان بالبعث الذي قررته هذه السورة ربع الإيمان في الحديث الذي رواه الترمذي: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر». وسيأتي إن شاء الله تعالى ما يتعلق بهذا المقام، وكأنه لما ذكر عز وجل في السورة السابقة جزاء الفريقين المؤمنين والكافرين كان ذلك كالمحرك للسؤال عن وقته فبينه جل شأنه في هذه السورة فقال عز من قائل:

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ﴾ أي حركت تحريكاً عنيفاً متداركاً متكرراً ﴿زِلْزَالَهَا﴾ أي الزلزال المخصوص بها الذي تقتضيه بحسب المشيئة الإلهية للبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده زلزال فكأن ما سواه ليس زلزالاً بالنسبة إليه أو زلزالها العجيب الذي لا يقادر قدره، فالاضافة على الوجهين للعهد. ويجوز أن يراد الاستغراق لأن زلزالاً مصدر مضاف فيعم أي زلزالها كله وهو استغراق

عرفي قصد به المبالغة وهو مراد من قال أي زلزالها الداخل في حيّز الإمكان أو عنى بذلك العهد أيضاً. وقرأ الجحدري وعيسى «زَلْزَالَهَا» بفتح الزاي وهو عند ابن عطية مصدر كالزلزال بالكسر. وقال الزمخشري المكسور مصدر والمفتوح اسم للحركة المعروفة، وانتصب ها هنا على المصدر تجوزاً لسده مسد المصدر. وقال أيضاً: ليس في الأبنية فعلال بالفتح إلاّ في المضاعف وذكروا أنه يجوز في ذلك الفتح والكسر إلاّ أن الأغلب فيه إذا فتح أن يكون بمعنى اسم الفاعل كصلصال بمعنى مصلصل وقضقاض بمعنى مقضقض ووسواس بمعنى موسوس وليس مصدراً عند ابن مالك، وأما في غير المضاعف فلم يسمع إلاّ نادراً سواء كان صفة أو اسماً جامداً، وبهرام وبسطام معربان إن قيل بصحة الفتح فيهما ومن النادر خزعال بمعجمتين وهو الناقة التي بها ظلع ولم يثبت بعضهم غيره. وزاد ثعلب قهقازاً وهو الحجر الصلب، وقيل: هو جمع وقيل هو لغة ضعيفة والفصيحة قهقر بتشديد الراء. وزاد آخر قسطالاً وهو الغبار وهذا الزلزال على ما ذهب إليه جمع عند النفخة الثانية لقوله تعالى: ﴿**وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا**﴾ فقد قال ابن عباس: أي موتاها. وقال النقاش والزجاج ومنذر بن سعيد: أي كنوزها وموتاها. وروي عن ابن عباس أيضاً: وهذه الكنوز على هذا القول غير الكنوز التي تخرج أيام الدجال على ما وردت به الأخبار وذلك بأن تخرج بعضاً في أيامه وبعضاً عند النفخة الثانية ولا بعد في أن تكون بعد الدجال كنوز أيضاً فتخرجها مع ما كان قد بقي يومئذ. وقيل: هو عند النفخة الأولى وأثقالها ما في جوفها من الكنوز أو منها ومن الأموات ويعتبر الوقت ممتداً وقيل: يحتمل أن يكون إخراج الموتى كالكنوز عند النفخة الأولى وإحياؤها في النفخة الثانية وتكون على وجه الأرض بين النفختين، وأنت تعلم أنه خلاف ما تدل عليه النصوص وقيل إنها تزلزل عند النفخة الأولى فتخرج كنوزها وتزلزل عند الثانية فتخرج موتاها. وأريد هنا بوقت الزلزال ما يعم الوقتين. واقتصر بعضهم على تفسير الأثقال بالكنوز مع كون المراد بالوقت وقت النفخة الثانية وقال: تخرج الأرض كنوزها يوم القيامة ليراها أهل الموقف فيتحسر العصاة إذا نظروا إليها حيث عصوا الله تعالى فيها ثم تركوها لا تغني عنهم شيئاً. وفي الحديث تلقي الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوانات من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول: في هذا قتلت ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً وقيل إن ذلك لتكوى بها جباه الذين كنزوا وجنوبهم وظهورهم. وأيًّا ما كان فالأثقال جمع ثقل بالتحريك وهو على ما في القاموس متاع المسافر وكل نفيس مصون، وتجوز به ها هنا على سبيل الاستعارة عن الثاني ويجوز أن يكون جمع ثقل بكسر فسكون بمعنى حمل البطن على التشبيه والاستعارة أيضاً كما قال الشريف المرتضى في الدرر، وأشار إلى أنه لا يطلق على ما ذكر إلاّ بطريق الاستعارة ومنهم من فسر الأثقال ها هنا بالأسرار وهو مع مخالفته للمأثور بعيد وإظهار الأرض في موقع الإضمار لزيادة التقرير وقيل للإيماء إلى تبديل الأرض غير الأرض، أو لأن إخراج الأرض حال بعض أجزائها. والظاهر أن إخراجها ذلك مسبب عن الزلزال كما ينفض البساط ليخرج ما فيه من الغبار ونحوه وإنما اختيرت الواو على الفاء تفويضاً لذهن السامع كذا قيل. ولعل الظاهر أنه لم ترد السببية والمسببية بل ذكر كل مما ذكر من الحوادث من غير تعرض لتسبب شيء منها على الآخر.

﴿**وَقَالَ الْإِنسَانُ**﴾ أي كل فرد من أفراد الإنسان لما يبهرهم من الطامة التامة ويدهمهم من الداهية العامة ﴿**مَا لَهَا**﴾ وزلزلت هذه المرتبة من الزلزال وأخرجت ما فيها من الأثقال استعظاماً لما شاهدوه من الأمر الهائل وقد سيرت الجبال في الجو وصيرت هباء. وذهب غير واحد إلى أن المراد بالإنسان الكافر غير المؤمن بالبعث

والأظهر هو الأول على أن المؤمن يقول ذلك بطريق الاستعظام والكافر بطريق التعجب ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من إذا وقوله تعالى ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ أي الأرض واحتمال كون الفاعل المخاطب كما زعم الطبرسي لا وجه له عامل فيهما. وقيل: العامل مضمر يدل عليه مضمون الجمل بعد والتقدير يحشرون إذا زلزلت و ﴿يومئذ﴾ متعلق بـ ﴿تحدث﴾ و ﴿إذا﴾ عليه لمجرد الظرفية. وقيل هي نصب على المفعولية لاذكر محذوفاً أي اذكر ذلك الوقت فليست ظرفية ولا شرطية، وجوز أن تكون شرطية منصوب بجواب مقدر أي يكون ما لا يدرك كنهه أو نحوه والمراد يوم إذا زلزلت زلزالها وأخرجت أثقالها وقال الإنسان ما لها تحدث الخلق ما عندها من الأخبار وذلك بأن يخلق الله تعالى فيها حياة وإدراكاً وتتكلم حقيقة فتشهد بما عمل عليها من طاعة أو معصية وهو قول ابن مسعود والثوري وغيرهما ويشهد له الحديث الحسن الصحيح الغريب. أخرج الإمام أحمد والترمذي عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾ ثم قال: «أتدرون ما أخبارها»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا كذا فهذه أخبارها» والباء في قوله تعالى ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ للسببية أي تحدث بسبب إيحاء ربك لها وأمره سبحانه إياها بالتحديث واللام بمعنى إلى أي أوحى إليها لأن المعروف تعدي الوحي بها كقوله تعالى ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ [النحل: ٦٨] لكن قد يتعدى باللام كما في قول العجاج يصف الأرض:

أوحى لها القرار فاستقرّت ... وشدها بالراسيات الثُّبَّتِ

ولعل اختيارها لمراعاة الفواصل. وجوز أن تكون اللام للتعليل أو المنفعة لأن الأرض بتحديثها بعمل العصاة يحصل لها تشف منهم بفضحها إياهم بذكر قبائحهم والموحى إليه هي أيضاً، والوحي يحتمل أن يكون وحي إلهام وأن يكون وحي إرسال بأن يرسل سبحانه إليها رسولاً من الملائكة بذلك. وقال الطبري وقوم: التحديث استعارة أو مجاز مرسل لمطلق دلالة حالها والإيحاء إحداث ما تدل به فيحدث عز وجل فيها من الأحوال ما يكون به دلالة تقوم مقام التحديث باللسان حتى ينظر من يقول ما لها إلى تلك الأحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الأموات وإن هذا ما كانت الأنبياء عليهم السلام ينذرونه ويحذرون منه وما يعلم هو أخبارها. وقيل: الإيحاء على تقدير كون التحديث حقيقياً أيضاً مجاز عن إحداث حالة ينطقها سبحانه بها كإيجاد الحياة وقوة التكلم والإخبار على ما سمعت آنفاً. وقال يحيى بن سلام: تحدث بما أخرجت من أثقالها ويشهد له ما في حديث ابن ماجة في سننه: «تقول الأرض يوم القيامة يا رب هذا ما استودعتني». وعن ابن مسعود تحدث بقيام الساعة إذا قال الإنسان ما لها فتخبر أن أمر الدنيا قد انقضى وأمر الآخرة قد أتى فيكون ذلك جواباً لهم عند سؤالهم. وقال الزمخشري: يجوز أن يكون المعنى تحدث بتحديث أن ربك أوحى لها أخبارها على أن تحديثها بأن ربك أوحى لها تحديث بإخبارها كما تقول نصحتني كل نصيحة بأن نصحتني في الدين فأخبارها عليه هو أن ربك أوحى لها والباء تجريدية مثلها في قولك لئن لقيت فلاناً لتلقين به رجلاً متناهياً في الخير. وكان الظاهر تحدث بخبرها بالإفراد وكذا على ما قبله من الوجهين لكن جمع للمبالغة كما يشير إليه المثال ونحوه قول الشاعر:

فأنالني كلَّ المُنَى بزيارة ... كانت مخالسةً كخطفة طائرِ

فلو استطعتُ خلعتُ على الدُّجى ... لتطولَ ليلَتُنَا ـ سَوَادَ الناظرِ

ولا يخفى بعده. وبالغ أبو حيان في الحط عليه، فقال: هو عفش ينزه القرآن عنه. وأراد بالعفش ـ بعين

مهملة وفاء وشين معجمة ـ ما يدنس المنزل من الكناسة وهي كلمة تستعملها في ذلك عوام أهل المغرب وليس كما قال. وجوز أيضاً أن يكون ﴿بأن ربك﴾ الخ بدلاً من ﴿أخبارها﴾ كأنه قيل يومئذ تحدث بأن ربك أوحى لها لأنك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا فيصح إبدال ﴿بأن﴾ الخ من ﴿أخبارها﴾ وأن أحدهما مجرور والآخر منصوب لأنه يحل محله في بعض الاستعمالات وليس ذلك في الامتناع خلافاً لأبي حيان كاستغفرت الذنب العظيم بنصب الذنب وجر العظيم على أنه نعت له باعتبار قولهم: استغفرت من الذنب لأن البدل هو المقصود فهو في قوة عامل آخر بخلاف النعت. نعم هو أيضاً خلاف الظاهر وبعد كل ذلك اللائق أن لا يعدل عن المأثور لا سيما إذا صح عن رسول الله ﷺ بقي ها هنا بحث وهو أنهم اختلفوا في نحو: حدثت هل هو متعدٍ إلى مفعول واحد أو إلى أكثر؟ فذهب الزمخشري وغيره ونقل عن سيبويه إلى الثاني وهو عندهم ملحق بأفعال القلوب فينصب مفعولين كحدثت زيداً الخبر، أو ثلاثة كحدثته عمراً قائماً فأخبارها عليه هو المفعول الثاني والمفعول الأول محذوف كما أشرنا إليه ولم يذكر لأنه لا يتعلق بذكره غرض إذ الغرض تهويل اليوم وأنه مما ينطق فيه الجماد بقطع النظر عن المحدث كائناً من كان. وقال الشيخ ابن الحاجب: إنما هو متعدٍّ لواحد وما جاء بعده لتعين المفعول المطلق فعمراً قائماً في حدثت زيداً عمراً قائماً منصوب لوقوعه موقع المصدر لا لكونه مفعولاً ثانياً وثالثاً ولا يقال كيف يصح أن يقع ما ليس بفعل في المعنى أعني عمراً قائماً مصدراً لأنه لم يكن مصدراً باعتبار كونه عمراً قائماً ولكن باعتبار كونه حديثاً مخصوصاً فالوجه الذي صحح الإخبار به عن الحديث إذا قلت: حديث زيد عمرو قائم هو الذي صحح وقوعه مصدراً فإخبارها عليه في موقع المفعول والمفعول به محذوف لما تقدم، بل قال بعضهم: إنك إذا قلت حدثته حديثاً أو خبراً فلا نزاع في أنه مفعول مطلق، والظاهر أن الإخبار في زعمه كذلك وتعقب ذلك في الكشف بأن ما ذكره الشيخ غير مسلم فإنه لم يفرق بين التحديث والحديث والأول هو المفعول المطلق كيف وهو يجر بالباء فتقول: حدثته الخبر وبالخبر ومعلوم أن ما دخل عليه الباء لا يجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً وقد يقال كون الشيخ لم يفرق في حيّز المنع وكيف يخفى مثل ذلك على مثله لكنه قائل بأن أثر المصدر ومتعلقه قد سدّ مسده فيما ذكر كما سد مسده آلته في نحو ضربته سوطاً ولعل ما قرره في غير ما دخلته الباء. وقال الطيبي: يمكن أن يقال إن حدث وأخواتها متعديات إلى مفعول واحد حقيقة وجعلها متعديات إلى ثلاثة أو إلى اثنين تجوز أو تضمين لمعنى الإعلام واستأنس له بكلام نقله عن المفصل وكلام نقله عن صاحب الإقليد فتأمل. وقرأ ابن مسعود «تنبىء أخبارها» وسعيد بن جبير «تنبىء» بالتخفيف.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم إذ ما ذكر وهو يقع ظرفاً لقوله تعالى ﴿يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ يخرجون من قبورهم بعد أن دفنوا فيها إلى موقف الحساب ﴿أشتاتاً﴾ متفرقين بحسب طبقاتهم بيض الوجوه آمنين وسود الوجود فزعين وراكبين وماشين ومقيدين بالسلاسل وغير مقيدين. وعن بعض السلف متفرقين إلى سعيد وأسعد وشقي وأشقى. وقيل: إلى مؤمن وكافر وعن ابن عباس: أهل الإيمان على حدة وأهل كل دين على حدة وجوز أن يكون المراد كل واحد وحده لا ناصر له ولا عاضد كقوله تعالى ﴿ولقد جئتمونا فرادى﴾ [الأنعام: ٩٤] وقيل متفرقين بحسب الأقطار ﴿لِيرَوْا أعْمَالَهُمْ﴾ أي ليبصروا جزاء أعمالهم خيراً كان أو شراً فالرؤية بصرية والكلام على حذف مضاف أو على أنه تجوز بالأعمال عما يتسبب عنها من الجزاء وقدر بعضهم كتب أو صحائف وقال آخر: لا حاجة إلى التأويل والأعمال تجسم نورانية وظلمانية بل يجوز رؤيتها مع عرضيتها وهو كما ترى. وقيل المراد ليعرفوا أعمالهم ويوقفوا عليها تفصيلاً عند الحساب فلا يحتاج إلى ما ذكر أيضاً. وقال النقاش

الصدور مقابل الورود فيردون المحشر ويصدرون منه متفرقين فقوم إلى الجنة وقوم إلى النار ليروا جزاء أعمالهم من الجنة والنار وليس بذاك. وأيًّا ما كان فقوله تعالى ﴿ليروا﴾ متعلق بـ﴿يصدر﴾ وقيل: هو متعلق بـ ﴿أوحى لها﴾ وما بينهما اعتراض. وقرأ الحسن والأعرج وقتادة وحماد بن سلمة والزهري وأبو حيوة وعيسى ونافع في رواية «لِيَروا» بفتح الياء. وقوله تعالى ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ تفصيل ليروا والذرة نملة صغيرة حمراء رقيقة ويقال إنها تجري إذا مضى لها حول وهي علم في القلة. قال امرؤ القيس.

من القاصرات الطرف لو دب محول ... من الذر فوق الاتب منها لأثرا

وقيل: الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء. وأخرج هناد عن ابن عباس أنه أدخل يده في التراب ثم رفعها ثم نفخ فيها. وقال: كل واحدة من هؤلاء مثقال ذرة وانتصاب ﴿خيراً﴾ و ﴿شراً﴾ على التمييز لأن مثقال ذرة مقدار. وقيل على البدلية من ﴿مثقال﴾ والظاهر أن ﴿من﴾ في الموضعين عامة للمؤمن والكافر وأن المراد من رؤية ما يعادل مثقال ذرة من خير أو شر مشاهدة جزائه بأن يحصل له ذلك. واستشكل بأن ذلك يقتضي إثابة الكافر بحسناته وما يفعله من الخير مع أنهم قالوا: أعمال الكفرة محبطة وادعى في شرح المقاصد الإجماع على ذلك كيف وقد قال سبحانه ﴿وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾ [الفرقان: ٢٣] وقال عز وجل ﴿أولئك الذي ليس لهم في الآخرة إلاّ النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾ [هود: ١٦] وقال تعالى ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد﴾ الآية. [إبراهيم: ١٨] وكون خيرهم الذي يرونه تخفيف العذاب يدفعه قوله تعالى ﴿فلا يخفف عنهم العذاب﴾ [البقرة: ٨٦، النحل: ٨٥] وقوله سبحانه ﴿زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون﴾ [النحل: ٨٨] ويقتضي أيضاً عقاب المؤمن بصغائره إذا اجتنب الكبائر مع أنهم قالوا إنها مكفرة حينئذ لقوله تعالى ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾ [النساء: ٣١] وقول ابن المنير: إن الاجتناب لا يوجب التكفير عند الجماعة بل التوبة أو مشيئة الله تعالى ليس بشيء لأن التوبة والاجتناب سواء في حكم النص ومشيئة الله تعالى هي السبب الأصيل فالتزم بعضهم كون المراد بمن الأولى السعداء، وبمن الثانية الأشقياء بناءً على أن ﴿فمن يعمل﴾ الخ تفصيل لـ ﴿يصدر الناس أشتاتاً﴾ وكان مفسراً بما حاصله ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ [الشورى: ٧٠] فالمناسب أن يرجع كل فقرة إلى فرقة لتطابق المفصل المجمل ولأن الظاهر قوله سبحانه ﴿فمن يعمل﴾ ﴿ومن يعمل﴾ بتكرير أداة الشرط يقتضي التغاير بين العاملين وقال آخرون بالعموم إلاّ أن منهم من قال: في الكلام قيد مقدر ترك لظهوره والعلم به من آيات أخر. فالتقدير: فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره إن لم يحبط ومن يعلم مثقال ذرة شراً يره إن لم يكفر. ومنهم من جعل الرؤية أعم مما تكون في الدنيا وما تكون في الآخرة، فالكافر يرى جزاء خيره في الدنيا وجزاء شره في الآخرة والمؤمن يرى جزاء شره في الدنيا وجزاء خيره في الآخرة فقد روى البغوي وابن جرير وابن المنذر وغيرهم عن محمد بن كعب القرظي أنه قال: فمن يعمل مثقال ذرة من خير وهو كافر فإنه يرى ثواب ذلك في الدنيا في نفسه وأهله وماله حتى يبلغ الآخرة وليس عليه فيها خير، ومن يعمل مثقال ذرة من شر وهو مؤمن كوفيء ذلك في الدنيا في نفسه وأهله وماله حتى يبلغ الآخرة وليس عليه فيها شر.

وأخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب وابن أبي حاتم وجماعة عن أنس قال: بينما أبو بكر

الصديق رضي الله تعالى عنه يأكل مع النبي ﷺ إذ نزلت عليه ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة**﴾ الآية فرفع أبو بكر يده وقال: يا رسول الله إني لراءٍ ما عملت من مثقال ذرة من شر؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «يا أبا بكر أرأيت ما ترى في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر لك مثاقيل ذر الخير حتى توفاه يوم القيامة». وفي رواية ابن مردويه عن أبي أيوب أنه ﷺ قال له إذ رفع يده: «من عمل منكم خيراً فجزاؤه في الآخرة، ومن عمل منكم شراً يره في الدنيا مصيبات وأمراضاً، ومن يكن فيه مثقال ذرة من خير دخل الجنة». ومنهم من قال: المراد من رؤية ما يعادل ذلك من الخير والشر مشاهدة نفسه عن غير أن يعتبر معه الجزاء ولا عدمه بل يفوض كل منهما إلى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتذب عن الكبائر وإثباته بجميع حسناته وبحبوط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه وبه يشعر ما أخرج ابن جرير وابن المنذر والبيهقي في البعث عن ابن عباس من قوله في الآية ليس مؤمن ولا كافر عمل خيراً وشراً في الدنيا إلاّ أراه الله تعالى إياه فأما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر له من سيئاته ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فيريه حسناته وسيئاته فَيَرُدُّ حسناته ويعذبه بسيئاته. واختار هذا الطيبي فقال إنه يساعده النظم والمعنى والأسلوب أما النظم فإن قوله تعالى ﴿**فمن يعمل**﴾ الخ تفصيل لما عقب به من قوله سبحانه ﴿**يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم**﴾ فيجب التوافق والأعمال جمع مضاف يفيد الشمول والاستغراق ويصدر الناس مقيد بقوله عز وجل ﴿**أشتاتاً**﴾ فيفيد أنهم على طرائق شتى للنزول في منازلهم من الجنة والنار بحسب أعمالهم المختلفة ومن ثم كانت الجنة ذات درجات والنار ذات دركات. وأما المعنى فإنها وردت لبيان الاستقصاء في عرض الأعمال والجزاء عليها كقوله تعالى ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ [الأنبياء: ٤٧] وأما الأسلوب فإنها من الجوامع الحاوية لفوائد الدين أصلاً وفرعاً روينا عن البخاري ومسلم عن أبي هريرة سئل رسول الله ﷺ عن الحمر أي عن صدقتها قال: «لم ينزل عليّ فيها شيء إلاّ هذه الآية الجامعة الفاذة» أي المتفردة في معناها فتلاها عليه الصلاة والسلام. وروى الإمام أحمد عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق أنه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه الآية فقال: «حسبي لا أبالي أن لا أسمع من القرآن غيرها» انتهى. وأقول الظاهر عموم من وكون المراد رؤية الجزاء كما تقدم وكذا الظاهر كون ذلك في الآخرة ولا إشكال وذلك لأن الفقرة الأولى وعد والثانية وعيد، ومذهبنا أن الوعد لازم الوقوع تفضلاً وكرماً والوعيد ليس كذلك فيفوض أمر الشر في الثانية على الدلائل وهي ناطقة بأنه إن كان كفراً لا يغفر وإن كان صغيرة من مؤمن مجتنب الكبائر يكفر، وإن كان كبيرة من مؤمن أو صغيرة منه وهو غير مجتنب الكبائر فتحت المشيئة. وخبرا أنس وأبي أيوب السابقان لا يأبيان ذلك بعد التأمل ولا يبعد فيما أرى أن يكون ماعدا الكفر من الكافر كذلك. وأما أمر الخير فباق على ما يقتضيه الظاهر وهو بالنسبة إلى المؤمن ظاهر، وأما بالنسبة إلى الكافر فتخفيف العذاب للأحاديث الصحيحة فقد ورد أن حاتماً يخفف الله تعالى عنه لكرمه، وأن أبا لهب كذلك لسروره بولادة النبي ﷺ وإعتاقه لجاريته ثويبة حين بشرته بذلك، والحديث في تخفيف عذاب أبي طالب مشهور وما يدل على عدم تخفيف العذاب فالعذاب فيه محمول على عذاب الكفر بحسب مراتبه فهو الذي لا يخفف، والعذاب الذي دلت الأخبار على تخفيفه غير ذلك، ومعنى إحباط أعمال الكفار أنها لا تنجيهم من العذاب المخلد كأعمال غيرهم وهو معنى كونها سراباً وهباءً. ودعوى الإجماع على إحباطها بالكلية غير تامة كيف وهم مخاطبون بالتكاليف في المعاملات والجنايات اتفاقاً. والخلاف إنما هو في خطابهم في غيرها من الفروع ولا شك أنه لا معنى للخطاب بها إلا عقاب تاركها وثواب فاعلها. وأقله التخفيف وإلى هذا ذهب العلامة شهاب الدين

الخفاجي عليه الرحمة ثم قال: وما في التبصرة وشرح المشارق وتفسير الثعلبي من أن أعمال الكفرة الحسنة التي لا يشترط فيها الإيمان كإنجاء الغريق وإطفاء الحريق وإطعام ابن السبيل يجزون عليها في الدنيا ولا تدخر لهم في الآخرة كالمؤمنين بالإجماع للتصريح به في الأحاديث، فإن عمل أحدهم في كفره حسنات ثم أسلم اختلف فيه هل يثاب عليها في الآخرة أم لا بناء على أن اشتراط الإيمان في الاعتداد بالأعمال وعدم إحباطها هل هو بمعنى وجود الإيمان عند العمل أو وجوده ولو بعد لقوله ﷺ في الحديث: «أسلمت على ما سلف لك من خير» غير مسلم ودعوى الإجماع فيه غير صحيحة لأن كون وقوع جزائهم في الدنيا دون الآخرة كالمؤمنين مذهب لبعضهم، وذهب آخرون إلى الجزاء بالتخفيف وقال الكرماني: إن التخفيف واقع لكنه ليس بسبب عملهم بل لأمر آخر كشفاعة النبي ﷺ ورجائه ومنه ما يكون لأبي لهب كما قال الزركشي انتهى. ولقائل أن يقول إن الشفاعة من آثار عمل المشفوع الخير أيضاً فتأمل.

وسبب نزول الآية على ما أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير أنه لما نزل ﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾ [الإنسان: ٨] كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه فيجيء المسكين إلى أبوابهم فيستقلون أن يعطوه التمرة والبسرة فيردونه ويقولون: ما هذا بشيء إنما نؤجر على ما نعطي ونحن نحبه، وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك ويقولون إنما وعد الله تعالى النار على الكبائر فنزلت الآية ترغبهم في القليل من الخير أن يعملوه، وتحذرهم اليسير من الشر أن يعملوه. وفيها من دلالة الخطاب ما لا يخفى وقد كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم بعدها يتصدقون بما قل وكثر. فقد روي أن عائشة رضي الله تعالى عنها بعث إليها ابن الزبير بمائة ألف وثمانين ألف درهم في غرارتين فدعت بطبق وجعلت تقسمها بين الناس فلما أمست قالت جاريتها: هلمي وكانت صائمة، فجاءت بخبز وزيت فقالت: ما أمسكت لنا درهماً نشتري به لحماً نفطر عليه. فقالت: لو ذكرتيني لفعلت. وجاء في عدة روايات أنها أعطت سائلاً يوماً حبة من عنب، فقيل لها في ذلك. فقالت: هذه أثقل من ذر كثير ثم قرأت الآية. وروي نحو هذا عن عمر وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن مالك رضي الله تعالى عنهم وكان غرضهم تعليم الناس أنه لا بأس بالتصدق بالقليل ولهم بذلك أسوة برسول الله ﷺ. فقد أخرج الزجاجي في أماليه عن أنس بن مالك أن سائلاً أتى النبي ﷺ فأعطاه تمرة، فقال السائل: نبي من الأنبياء تصدق بتمرة. فقال عليه الصلاة والسلام: «أما علمت فيها مثاقيل ذر كثيرة» وجاء أنه عليه الصلاة والسلام قال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة» ثم قرأ الآية. وتقديم عمل الخير لأنه أشرف القسمين والمقصود بالأصالة لا يخفى حسن موقعه ويعلم منه أن هذا الإحصاء لا ينافي كرمه عز وجل المطلق وما يحكى من أن أعرابياً أخر خيراً يره فقيل له قدمت وأخرت فقال:

خذا بطن هرشى أو قفاها فإنه ... كلا جانبي هرشى لهن طريق

فغفل عن اللطائف القرآنية أو لعله أراد أنه فيما يتعلق بالعمل لا بأس به قدم أو أخر لا أن القراءة به جائزة. وقرأ الحسين بن علي على جده وعليهما الصلاة والسلام وابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعبد الله بن مسلم وزيد بن علي وأبو حيوة والكلبي وخليد بن نشيط وأبان عن عاصم والكسائي في رواية حميد بن الربيع عنه «يُره» بضم الياء في الموضعين. وقرأ هشام وأبو بكر «يَرَهْ» بسكون الهاء فيها وأبو عمرو بضمها مشبعة وباقي السبعة بالإشباع في الأول والسكون في الثاني والإسكان في الوصل لغة حكاها الأخفش ولم يحكها سيبويه وحكاها الكسائي أيضاً عن بني كلاب وبني عقيل. وقرأ عكرمة «يراه» بالألف فيهما وذلك على لغة من

يرى الجزم بحذف الحركة المقدرة على حرف العلة كما حكى الأخفش أو على ما يقال في غير القرآن من توهم أن من موصولة لا شرطية كما قيل في قوله تعالى ﴿إنه من يتق ويصبر﴾ [يوسف: ٩] في قراءة من أثبت ياء يتق وجزم يصبر. وجوز أن تكون الألف للإشباع والوجه الأول أولى والله تعالى أعلم.